ابن جني النحوي

تأليف

الدكتور فاضل صالح السامرائي

مدرس في كلية التربية ـ جامعة بغداد
ومحاضر بكلية الدراسات الاسلامية

١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م

ساعدت جامعة بغداد على نشره

طبع بمطابع

دار النذير

للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على محمد أفضل خلقه واكمل عباده وعلى آله وصحبه والداعين بدعوته .

وبعد فما إن علمت طائفة من اخواني الأحبة أني أزمعت اختيار هذا البحث « ابن جني النحوي » ليكون موضوع رسالتي للماجستير حتى انطلقت ألسنتهم بالنصح لي بأن أترك هذا الموضوع « الشائك » ! ولقد نصح لي غير واحد بأن أغيره مع أني امضيت في بحثه مدة طويلة . وحجتهم في ذلك أنه موضوع شائك وان ابا الفتح لم يشتهر بالنحو وانما كان مشهوراً باللغة . غير أني كنت منذ نعومة أظفاري محباً للنحو شديد التعلق به أحس بصلة عميقة وثيقة بيني وبينه من دون سائر الموضوعات ، وكنت محباً لأبي الفتح وكنت وانا أقرأ في كتبه والمنقول منها أحس بسعة عقله وبراعته في التعليل والتحليل فيزداد حبي له وأعجابي به ، ولذا صممت على المضيّ في هذا البحث واستخلاص منهج أبي الفتح النحوي مهما كلفني ذلك من مشقة . وكنت ايضاً أرى بحوثه النحوية ونظراته في النحو مبثوثة في كثير مما يكتب فأقول : لمَ لا يستخلص منهجه النحوي وقد كتب في النحو وألف في أصوله وبحث فيه ؟

وشكرت لاخواني حرصهم على نصحي واخلاصهم لي وقدرت صدق مودتهم اياي الا انني مضيت على ما انتويت فكان الذي بين يديك والحمد لله .

أن البحث - كما ترى - ينقسم الى ثمانية أبواب مع مقدمة وخاتمة فالباب الاول يشمل عصره وبلده ونسبه ونشأته وأخلاقه ووجهته وأسرته ووفاته .

والباب الثاني يشمل ثقافته وشيوخه وركزت القول خاصة في ذكر شيخه الذي اثر فيه تأثيراً كبيراً أعني أبا علي الفارسي وذكرت وجوه أثره فيه . ثم ذكرت علاقته الأدبية بالمتنبي وشرحه لديوانه .

وقد اشتمل اعتزاله والاجابة عن سؤالين هما : هل كان شيعياً ؟ وهل كان شـــعوبياً ؟

ثم ذكرت فيه مكانته العلمية وأدبه وعلمه ومايؤخذ عليه من هنات يسيرة. ويشمل كذلك هذا الباب تلامذته وآثاره وقيمتها العلمية .

أما الباب الثالث فانه يشمل التطور النحوي من أوليته الى عصره، ووصف عصره من حيث فساد الالسنة ووجود بقية فصحاء فيه ، وأشهر النحويين في زمنه ودراساته في اللغة والأصوات والتصريف والنحو .

ويشمل بحث الشواهد وأعني بها القرآن الكريم ، وموقفه من القراءات ، والحديث النبوي والاستشهاد به، وكلام العرب من شعر ونثر والمولدين والاستشهاد بشعرهم في المعاني .

أما الباب الرابع فهو بحث في مجهوده في أصول النحو ،ويشمل أصول النحو وتعريفاً به وجهوده فيه وأثر علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح الحديث فيه. كما يشمل أدلة الصناعة : السماع (النقل) والقياس والاجماع وعدم النظير والحمل على الظاهر واستصحاب الحال واستدلالات اخرى .

كما يشمل بحثاً في العلل وكلامه فيها ، وهل كانت العرب تلحظ العلل ؟ وما لاحظته العرب من العلل في كلامها .

أما الباب الخامس فانه يشمل بحثين : علم الكلام والفقه وأثرهما في النحو ، والعامل عند أبي الفتح وموقفه منه .

والباب السادس بحث في عقلية أبي الفتح ونهجه في كتبه وبحثه وعقدت فيه موازنة مقتضبة بينه وبين ابن هشام وبينه وبين ابن مضاء القرطبي .

وبحثت في الباب السابع مذهبه النحوي وهو يشمل الاختلاف في مذهبه النحوي ، والمدرسة البغدادية ، وهل كان أبو الفتح بغدادياً ؟ واتبعت في اثبات مذهبه النحوي خطوات أربعاً :

أسس المدرسة التي يتبعها في بحثه ، واصطلاحاته النحوية ، ومع من يعد نفسه ؟ ونماذج من دراساته في المسائل الخلافية .

أما الباب الثامن فانه يشمل نماذج من دراساته النحوية ، ونماذج من اعرابه ومبادئ وأقوالا عامة في اللغة والنحو والأصول .

ونماذج من آرائه النحوية مما خالف فيه الجمهور وما خالف فيه سيبويه خاصة وما خالف فيه شيخه ابا علي الفارسي وما وافقه فيه ،وما وافق فيه الكوفيين واجتهاداته الخاصة . وفي هذا الباب نلحظ آراء نحوية نسبت اليه وهمـا في مغني اللبيب وشرح الاشموني وهمع الهوامع واثبتنا الصواب فيها .

هذا عرض موجز لطريقة البحث التي اتبعتها في رسالتي هذه ، وقد تلحظ انني أكرر النص أحياناً مرة أو أكثر منها فقد يكون للنص أكثر من دلالة اذكرها في موضعها فلا أكتفي بالاحالة على النص الذي سبق بل انقله ليكون حاضراً بازاء العين فلا يسأم القارئ من مراجعة النص المار الذكر ، كما ان حضوره أدعى الى التأمل والربط بين الدلالة والنص وأيسر على القارئ ، وأحياناً اكتفي بالاشارة الى النص وذلك حين لا أرى ان هناك داعياً قوياً يدعو الى اعادة النص مرة اخرى فأستخلص فكرته .

وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت لرسم منهج أبي الفتح النحوي وتقديم صورة واضحة له .

ولايفوتني أن أقدم غاية التقدير لأستاذنا الجليل الدكتور مصطفى جواد الذي كان يتحفني بتوجيهاته السديدة المواصلة ونظراته الصائبة ؛

كما أشكر لجميع الذين اعانوني عونهم وأسدوا الي جميلا فيه ؛

والحمد لله في البدء والختام

المحرم الحرام ١٣٨٤ هـ — فاضل صالح السامرائي

مايس ١٩٦٤ م

الباب الأول

عصره ونشأته

لمحة تأريخية —

الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية

في هذا القرن — اعني القرن الرابع الهجري — أصيب العالم الاسلامي بانقسام كبير حتى كأنه عقد انفرط أو صخرة تفتتت «١» ونشأت فيه دول صغيرة منفصل بعضها عن بعض وقد تم ذلك في حدود سنة ٣٢٤ هـ « ٩٣٥ » م (٢) وقد تغلب كل رئيس على ناحيته وانفرد بها فصارت فارس والري واصبهان وهمذان في ايدي بني بويه ، وكرمان في يد محمد بن الياس ، والمغرب وافريقية في يد الفاطميين وخراسان في يد نصر بن احمد الساماني ، والاهواز وواسط والبصرة في يد البريديين واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم (٣) ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في ايدي بني حمدان « ٣١٧ — ٣٩٤ » ومصر والشام في يد ابن (طغج) (٤) الاخشيد وهو من موالي آل طولون (٥) ولم يبق في يد الخليفة الا بغداد وأعمالها «٦» .

---

(١) ظهر الاسلام ج٢ / ١

(٢) الحضارة الاسلامية (لآدم متز ١ ص١)

(٣) المصدر السابق

(٤) الفخري ٢٤٧ ، الكامل لابن الاثير سنة ٣٢٤ هـ ابو علي الفارسي ص٣١

(٥) محاضرات تأريخ الامم الاسلامية — الدولة العباسية — للشيخ محمد الخضري بك ص ٣٦٧

(٦) متز ج ١ ص ١ .

وكان أغلب هؤلاء يعترفون بالسيادة العليا للخليفه من الناحية النظرية الدينية ويقومون له بالدعاء في المساجد(١) أما في واقع الامر فليس له إلا أن يمنح لقباً(٢) أو ان يوافق مكرهاً على أمر اذ فقد الحرية في غالب أمره وخصوصاً في زمن البويهيين (وقد دخلوا بغداد سنة ٣٣٤هـ) وكان البويهيون مطلقي التصرف ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاص الخلفاء وانتقاص حقوقهم ، فحين دخل معز الدولة أحمد بن بويه (٣٣٤-٣٥٦هـ) على الخليفة(*) أخذت عليه البيعة للمستكفي واستحلف له بأغلظ الايمان ولخواصه وحلف المستكفي له ولاخويه عماد الدولة علي بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه وكتب بذلك كتاباً ووقعت فيه الشهادة عليهما(٣) حتى ان معز الدولة فكر في ازالة الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية ولكنه عدل عن ذلك لما قد يعرض لسلطانه من خطر بسبب وجود الخلافة العلوية التي يعطيها الجند ويعترف بها الديلم ، ويكونون أداة في يد الخليفة يستغلها لمصلحته

---

(١) فالقرامطة كانوا يخطبون باسم المهدي - محاضرات تأريخ الامم الاسلامية- الخضري ص٣٧٩ والظاهر ان المقصود بالمهدي هذا هو عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وعبيدالله المهدي ظهر في شمال أفريقيا وملك المغرب ، وكان من الاسماعيلية القرامطة وقد مات سنة ٣٢٢هـ

- لاحظ كتاب المذاهب الاسلامية - لمحمد أحمد أبو زهرة ص٨٩- ٩٠ وتأريخ الاسلام السياسي - لحسن ابراهيم ج ٣/١٤٤-١٤٦ والملل والنحل للشهرستاني ج١/٣٣٠-٣٣٣

(٢) متز ج ١ ص١

(٣) المنتظم ٦/٣٤٠ دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري ص٢٤٧ .

(*) المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ)

متى شاء(١) . وذكر ابن الاثير (٢) ان معز الدولة أهان الخليفة المستكفي وقبض عليه وسمل عينيه واجلس المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ) على عرش الخلافة واطلق له الف درهم في اليوم ثم قطع ذلك الراتب النقدي بعد أن فتح البصرة وعين له اقطاعات يسيرة يعيش منها ورتب له كاتبا يتصرف بشؤونها (٣) :

وكثر الخلع والسمل في خلفاء هذا القرن فقد بويع القاهر محمد بن المعتضد بالله أحمد يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام(٤) . والمتقي لله وهو أبو اسحاق ابراهيم ابن المقتدر بويع لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة(٥) .

وبويع المستكفي بالله وهو أبو القاسم عبدالله بن علي المكتفي يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع في شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر(٦) وسملت عيناه(٧) .

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقيل انه بويع في جمادي الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه الديلمي غلبة تامة والمطيع في يده لا أمر له ولا نهي

---

(١) تأريخ الاسلام السياسي - للدكتور حسن ابراهيم ٤٤/٣

(٢) ابن الاثير ١٦٢/٨

(٣) تأريخ الاسلام السياسي ٤٤/٣

(٤) مروج الذهب - المسعودي ٤ / ٣١٢

(٥) مروج الذهب ٣٣٩/٤

(٦) المرجع السابق ٢٥٥/٤

(٧) ابن الاثير ١٦٢/٨

ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر(١) . وصادر القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ) أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس ، وأفسد الوزير ابن مقلة قلوب الجند على القاهر وزين لهم الوثوب حتى هجموا عليه وخلعوه وسملوه حتى سالت عيناه الى خديه ثم حبس وافرج عنه حتى بلغ به الحال أن وقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس(٢)(*) .

وذكر المسعودي أنه أضرب صفحاً عن وصف اخلاق طائفة من الخلفاء لانهم كانوا كالمولى عليهم لا أمر ينفذ لهم(٣) .

وذكر ابن طباطبا المتقي لله قال : واضطربت عليه الامور واستولى عليه رجل من امراء الديلم يقال له توزون فهرب المتقي ومعه ابنه الى الموصل خوفا على نفسه من حرب بغداد . ثم جرى عليه من القهر والسمل ما أثرناه آنفاً .

وجرت في تلك الايام حروب وفتن ونهبت دار الخلافة وأخذ ما كان فيها(٤) .

وذكر هذا المؤرخ المستكفي قائلا : ثم اضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة وتملك البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال اليهم

---

(١) مروج الذهب ٤/٣٧٢ ، وانظر كتاب الوزراء للصابي
وكتاب أخبار الراضي بالله والمتقي لله للصولي

(٢) الفخري ص٢٣٠ عن (أبو علي الفارسي) للشلبي ص٣٠

(*) ذكر السيوطي ان الخلافة ضعف أمرها في هذا الوقت وتغلب امراء الاطراف وبطل معنى الوزارة وصارت الدنيا في أيدي عمالها ـ المختار من كتاب حسن المحاضرة للسيوطي ص١٤٦ سنة ٣٢٣هـ .

(٣) التنبيه والاشراف ص٣٤٦

(٤) الفخري ص٢٥٤

وقُرر للخلفاء شيء طفيف برسم اخراجاتهم(١) .

ووصف البيروني موقف الخلفاء العباسيين من سلاطين بني بويه في هذه العبارة فقال : وان الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في أيدي الدولة العباسية انما هو أمر ديني اعتقادي لا ملك دنياوي فالقائم من ولد العباس الآن [يعني في عهد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ] انما هو رئيس الاسلام لا ملك(٢) .

وقدساءت الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مساءة بالغة اذ استهل هذا القرن بفتن أثارها القرامطة على أبواب بغداد وانتهت هذه الفتن بالاستيلاء على مكة سنة ٩٣٠م(١) (٣١٩هـ) . وذكر المسعودي في (التنبيه والاشراف) في أيام الراضي (٣٢٢هـ-٣٢٩هـ) مسير القرمطي سليمان بن الحسن صاحب البحرين عن الاحساء لاعتراض الحاج في بدأتهم لموسم سنة٣ ٣٢هـ (٤) .

وفي سنة ٣٣٣هـ بعد دخول أبي الحسن البريدي بغداد ، انتهبت دار الخلافة وغيرها من دور الأولياء وانتهك الحريم بعد ممانعة عظيمة وحروب وقتل من الناس وغرق نحو من عشرة آلاف رجل وقيل اكثر من ذلك(٥) .

وقد وصف الصولي حالة بغداد في الوقت الذي تقلد فيه بجكم إمرة الأمراء (٣٢٧-٣٢٩) فقال : ان العامة عاثوا في الأرض فسادا وانقضوا على الحمامات العامة وأخذوا ثياب من فيها وكثرت المصادرات ونفاقم شر اللصوص الذين تسلحوا بالعدد لكبس الدور ليلا وشكا الناس من غير جدوى الى بجكم ما أحله بهم أصحابه

---

(١) الفخري ص٢٥٨

(٢) الآثار الباقية ص١٣٢ وانظر تأريخ الاسلام - لحسن ابراهيم ٢٤٨/٣

(٣) اطلس التاريخ الاسلامي ص١٢

(٤) التنبيه والاشراف ص٣٣٧

(٥) المصدر السابق ص٣٤٤

من بلاء وانتشرت الفوضى والمنازعات وساءت أحوال العراق .

وصفوة القول أن حالة الدولة العباسية أصبحت من الضعف بحيث لم يتمكن الخليفة الراضي من دفع أرزاق الجند ولا من الحصول على مايكفيه . وفكر الخليفة في الاستنجاد بأبي عبدالله الحسن البريدي . [١] وظلت الحال على ذلك حتى توفي الراضي سنة ٣٢٩هـ . وفي هذا العصر يصف المقدسي بغداد فيقول انها كانت احسن شيء للمسلمين واجل بلد وفوق ماوصفنا حتى ضعف امر الخلافة فاختلت وخف اهلها فأما المدينة[٢] فخراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب ... وهي في كل يوم الى ورآ وأخشى انها تعود كسامرا مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان . [٣]

على ان حال بغداد في سنة الحمدانيين ٣٣٠-٣٣١هـ الذين عرفوا بتشجيع الأدباء والشعراء بعطاياهم لم تكن احسن منها في عهد من سبقهم من أمراء الأمراء فقد «كثرت المتلصصة ببغداد وكبست دور المياسير وخرج الناس عن بغداد هاربين الى كل وجه على انسداد طرقهم ولو أمنوا لخرج اضعاف من خرج ... وغلت الأسعار في جمادى الآخرة غلاء عظيما ، ومات الناس جوعا ووقع فيهم البلاء فكانوا يبقون على الطريق اياما لايدفنون حتى اكلت الكلاب بعضهم»[٤]

ولعل البلاد ذاقت بعض الرفاهية على يد عضد الدولة ت[٣٧٢هـ] فقد كان أقدر البويهيين الذين حكموا العراق وابعدهم نظرا في السياسة والادارة[٥]. وكان

---

(١) الأوراق للصولي ٢/١٣٣-١٣٥ وانظر [تاريخ الاسلام ٣/٢٨]

(٢) يعني مدينة المنصور بالجانب الغربي

(٣) أحسن التقاسيم ص١٢٠

(٤) الصولي ٢/٢٣٤-٢٣٧ ، كتاب حسن ابراهيم ص٣١

(٥) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ـ للدوري ص٢٦٨

عضد الدولة دون سائر اعضاء اسرته هو الذي يمثل السيد الحاكم تمثيلا حقيقياً وقد خضعت لسلطانه في آخر أمره البلاد الممتدة من بحر الخزر الى كرمان وعمان، وكان مهيباً يعنى بنقل الأخبار واعتنى بالعمران وأعاد كثيرا من بناء المساجد وأقام للحجاج السواقي في الطريق واحتفر لهم الابار وأعاد عمارة بستان عرصة دار العباس ابن الحسين وغيره فامتلأت الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى الكلاب ومطارح الجيف والأقذار وطهر السبل من اللصوص . [١]

وفي آخر ايامه احدث رسوما جائرة وزاد الرسوم القديمة وكان يتوصل الى أخذ المال بكل طريق[٢] .

وبعض الحكام كان يستعمل العسف في جباية المكوس وفى مال الخراج . الى غير ذلك من وسائل ظالمة . حتى ان صمصام الدولة أراد سنة ٣٧٥هـ أن يفرض ضريبة قدرها عشر الثمن على الثياب الحرير فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على قطع الصلاة وكاد البلد يفتتن فاعفوا من ذلك ، ولم يقتصروا في الضرائب على الكماليات بل أرادوا ان يفرضوها على الضروريات كالملح .. وكان « الشطار » يفرضون ضرائب معينة على البيوت فمن لايدفعها يهاجم ويؤخذ ماله[٣] .

الحالة العلمية

ان هذا التردي البليغ الذي ذكرنا طرفاً منه في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لم يؤثر في الحالة العلمية كذلك التأثير بل ربما كان العكس هو

---

(١) انظر متز من ٣٣-٣٥ وانظر كتاب الاذكياء لابن الجوزي

(٢) ابن الاثير ٩/١٦

(٣) ظهر الاسلام ٢/١٠

الصحيح « فالمملكة الاسلامية في هذا القرن كانت أعلى شأناً في العلم من القرون التي كانت قبله »[١].

ان تفتت هـذه الوحـدة ووجود امارات وعواصم متعددة اديا الى نعش الناحية العلمية في أكثر من مكان ، فبينما كانت بغـداد موئل العلماء وكعبة القصاد منهم اذا نحن نرى مراكز علمية فى حلب وشيراز وغيرهما فكانت هذه الامارات « تتبارى في تجميل موطنها بالعلماء والأدباء »[٢] وبعد أن كانت البصرة والكوفة أهم مراكز العلم والثقافة تعددت العواصم الثقافية وأصبحت شيراز والري وأصبهان ودينور وهمذان وبخارى ونيسابور وسمرقنـد وجرجان وحلب والقاهرة من أهم المراكز بجانب تلك . ووجدنا من العلماء من ينسب الى هذه البلاد أو غيرها ففيهم الامـدي والابيوردي والاسـترابادي والانطاكي والبستي والبسطامى والسجزي والشهرستاني والطالقاني والعسكري والفارابي والكرماني والهروي والفسوى وغير أولئك[٣] .

واصبح الذين ينشدون المال والشهرة يجدونهما في اكثر من موطن ، وهذا جعل كثيراً من العلماء ينعمون في ظل التفرد اكثر مما كانوا ينعمون في ظل الوحدة(٤).

وتم في هذا العصر امتزاج الثقافات فهؤلاء الفرس والهنود يتثقفون الثقافة العربية وينتجون فيها . وهؤلاء وثنيو حران والسريانيون يغرقون البلاد بالثقافة اليونانية . وهؤلاء الخلفـاء يشجعون الطب والتنجيم اولا لحاجتهم اليهما ثم ينفذ العلماء منهما الى ابواب الفلسـفة الاخرى من طبيعيات ورياضيات والهيات . . .

---

(١) ظهر الاسلام ٢/٢

(٢) المصدر السابق ٢/٢

(٣) وفيات الاعيان ج ١/٦١ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١٣٤

(٤) ظهر الاسلام ٢/٢

ويقتبس علماء كل علم من الفلسفة اليونانية ليفلسفوه من دين ونحو وصرف وبلاغة وغير ذلك(١) .

وقد عني بالكتب وجمعها الى درجة فائقة فكان الامراء والادباء والعلماء يجمعون عشرات الوف من الكتب وقد وصف المقدسي خزانة الكتب التي كانت في دار عضد الدولة بانها « حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنف الى وقت عضد الدولة من انواع العلوم الا وحصله فيها . وهي أزج طويل في صفّة كبيرة فيه خزائن من كل وجه وقد الصق الى جميع حيطان الازج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة اذرع من الخشب المزوق عليهـا ابواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها اسامي الكتب ولا يدخلها الا كل وجيه(٢) .

وفي سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٧ م) صودر حبشي بن معز الدولة لانه اراد عصيان اخيه امير بغداد فكان من جملة ما اخذ منه خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء ومالبس بمجلد(٣) .

وفي سنة ٣٥٥ هـ نهب قوم من الغزاة دار ابي الفضل بن العميد بالري وكان يخشى على دفاتره وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقر غير انها سلمت فسري عنه مع كل مافقد ولم يبق غيرها(٤) .

وان كتب الصاحب بن عباد تحمل على اربعمائة جمل أو اكثر وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات(٥) .

---

(١) ظهر الاسلام ١١/٢

(٢) احسن التقاسيم للمقدسي ص ٤٤٩ ، وانظر متز ص ٢٤٤

(٣) تجارب الامم لمسكويه ج٢٤٦/٦ سنة ٣٧٥ هـ

(٤) تجارب الامم لمسكويه ٢٨٦/٦

(٥) ياقوت ٣١٥/٢ متز ، ص ٢٤٦

هذا زيادة على دور الكتب والمؤسسات العلمية التي انشئت في كثير من المدن كالبصرة والموصل ونيسابور ورام هرمز وغيرها(١) .

وبرزت في هـذا القرن اسماء لامعة في شتى ميادين العلم والادب كالطبري والمتنبي والفارابي والاصفهاني وابن النديم وابي الوفاء الفلكي والرياضي والجراح ابي القاسم والاشعري(٢) وبرز فيه اعلام الادب والعربية والفن كالصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذاني وابن العميد وابي هلال العسكري والازهري صاحب التهذيب وابن فارس صاحب المجمل وابي علي القالي صاحب الامالي والجوهري صاحب الصحـــاح وابن خالويه وابي فراس الحمداني وكشاجم والسري الرفاء والشريف الرضي والسلامى والوأواء الدمشقي(٣) وابن دريد صاحب الجمهرة ، كما نبغ في هذا العصر ابو اسحاق الزجاج وابو بكر محمد بن السرى السراج وابو بكر محمد بن القاسم الانباري الذي كان يقول « احفظ ثلاثة عشر صندوقاً وابو القاسم الزجاجي وابوسعيد السيرافي وابو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وابن جني(٤) وابراهيم الفارابي مؤلف ديوان الادب وغيرهم وغيرهم .

نرى من هذا الاستعراض العاجل ان هـــذا القرن حاشد بأبرز رجال العلم والادب والفن وان الناحية العلميـــة قد تطورت تطوراً بعيداً وخطت خطوات واسعة على عكس ماشاهدناه في النواحي السياسية . والاجتماعية والاقتصادية التي تردت تردياً بالغاً كما مر بنا آنفاً .

الحالة الدينية :

في مطلع هـــذا القرن نكصت حركة الاعتزال التي ازدهرت في العصر

---

(١) ياقوت ٢/٤٢٠ ، المقدسي ص ٤١٣ وانظر متز ص ٢٤٩

(٢) اطلس التاريـخ الاسلامي « القرن الرابـع الهجري ص ١٢ »

(٣) مجلة المقتطف . مجلد ١١١ ج ٣/١٥٤

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٢٨ ج ٤/٣٦٥ مقالة الدكتور محمد اسعد طلس

العباسي الاول وكان لظهور أبي الحسن الاشعري الذي كان معتزلياً أول أمره ثم خرج عليهم بعد أن تسلح بالاسلحة المنطقية التي أمدوه بها والتي حاربهم بها بقية حياته أثر كبير في هذا النكوص وكان للكتب التي الفها شأن كبير في رد المعتزلة بعد أن كانوا رفعوا رؤوسهم فجحرهم الاشعري في اقماع السماسم(١) .

قال الدكتور حسن ابراهيم « أما انتصار مذهب أهل السنة فقد توج بظهور أبي الحسن الاشعري ذلك انه لم يكد يمضي اثنا عشر عاماً على موت المتوكل حتى ولد سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م) ذلك الرجل الذي تربى في أحضان مذهب المعتزلة ثم رفض تعاليمهم في الاربعين من عمره بعد أن تسلح بالاسلحة المنطقية التي أمدوه بها وحاربهم بها بقية حياته وحمل على آرائهم حملة كتب لها التوفيق والنجاح...»(٢)

ولا شك ان سلطان المعتزلة أخذ يضعف ويضمحل منذ مجيء المتوكل الى الخلافة اذ أظهر أمر السنة والجماعة وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث(٣) .

وكان لثبات الامام أحمد بن حنبل امام ما سمي بفتنة القول بخلق القرآن ثباتاً منقطع النظير أثر عظيم في نفوس الناس وأثارت فتنة التعذيب والتسلط وارغام العلماء على القول بخلق القرآن رد فعل عنيف بحيث لم يجرؤ أحد على أن يظهر الكلام في الاعتزال(٤) فيما بعد .

وكان الخلفاء العباسيون في الاعم الاغلب من اهل السنة الذين يقاومون الاعتزال . وقد تدخل القادر بالله في أمر العقائد(٥) فعمل كتاباً « فيه الاصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث وأورد في كتابه

---

(١) وفيات الاعيان ٢/٤٤٧

(٢) تاريخ الاسلام ٣/٢١٨

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤/٣٧

(٤) الشلبي عن ابن زولاق ص١٨ ومجلة مجمع اللغة العربية ج٨/١٤٤ لابراهيم مصطفى .

(٥) دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري ص٢٥٥

فضائل عمر بن عبدالعزيز وأفكار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهـدي ويحضر الناس سماعه(١) . وكتب كتاباً قرأه على الاشراف والقضاة والشهود والفقهاء يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة والطعن على المعتزلة(٢) .

وكان أكثر أهـل بغـداد سنيين يحترمون الشيخين وعثمان وعلياً ، فلما جاء البويهيون شجعوا التشيـع ورسموا للناس مراسم ينوحون فيها ويلطمون وجوههم يوم عاشـوراء(٣) . ويبتهجون باظهار الزينة واشـعال النـيران بعيد الغـدير غديرخم(٤) . وكان البويهيون شيعةزيدية (٥) لا يعترفون بحق العباسيين لحكم العالم الاسلامي(٦) . وأراد معز الدولة ازالة الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية مكانها ولكنه عدل عن ذلك لاعتبارات سياسية(٧) .

وخلاصة القول انه « كما تقاسمت المملكة الاسلامية العناصر الجنسية المختلفة كذلك تقاسمتها المذاهب والطوائف الاسلامية المختلفة »(٨) .

الموصل ـ بلده

حالاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية :

قال المقدسي وهو من أهل القرن الرابع للهجرة ، الموصل « بلد جليل حسن

---

(١) المنتظم ٦١/٧ ، ١٠٩/٨

(٢) المنتظم ٤٢/٨

(٣) المنتظم ١٥/٧

(٤) الكامل ١٧/٧

(٥) ابن حسول ص٣٢ـ الدوري ٢٤٧

(٦) ابن الاثير ١٤٩/٧ وانظر ١٦٢/٨

(٧) حسن ابراهيم ٤٤/٣ ، الدوري ٢٤٧

(٨) ظهر الاسلام ٧٤/١

البنـاء طيب الهواء صحيح الماء كثير الملوك والمشـايخ لا يخلو من اسـناد عال وفقيه مذكور »(١)، إلا أن هذا البلد الجليل لم يكن حظه في هـذا القرن أحسن من غيره ، فقد كانت الفتن واضطراب حبل الامن وتردي الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لاتختلف فيه عن غـيره . فقد توالت عليه الفتن فخربت المساجد وهدمت الاسواق والقصور والدور وهجرها كثير من رجال الادب الى غيرها طلباً للطمأنينة والسكينة أو الرزق والرفاهية . وقلما خلت سـنة من ثورات داخلية أو حروب أهلية . ففي سنة ٣٠٧ كانت فتنة عظيمة في الموصل وأعمالها بين باعة الطعام وبين الاسـاكفة واحترق سوق الاساكفة بما فيه ، وكان للوالي خارجاً عن المدينة فسمع بالفتنة فرجع ليوقع بالثائرين فحصنوا البـلد وسدوا الدروب ، فلما رأى ذلك ترك قتالهم وأمر من التف حوله من اعراب البادية أن يخربوا الاعمال ويقطعوا الطرقات ويهدموا الجسور فخربت المدينة وبلغ الخبر الى الخليفة فعزله . وفي سنة ٣٠٧ أيضا ثارت فتنة كبيرة بين الموصليين والاكراد المارديية ولم تهـدأ حتى ارسـل الخليفة الحاجب محمد بن نصر فهدأها وأعاد السكينة الى ربوعها . وفي سنة ٣١٠ وقعت الفتنة الكبرى بين أصحاب الطعام ثانية واهل المربعة والبزازين ـ ثم انضم اليهم الاساكفة ـ وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسـواقهم وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة كما يحدثنا ابن الاثير واجترأ أهل الشر وتعاقد أصحاب الخلقان والاساكفة على أصحاب الطعام فهزموا الاساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وركب أمير الموصل ناصر الدولة الحسن بن عبدالله الحمداني ليسكن الناس فلم يسكنوا ولا كفوا ثم دخـل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فاصلحوا بينهم(٢) .

وكان هذا الاقليم في يد الحمدانيين ففي سنة ٢٩٢ هـ وليها الامير ابو الهيجاء

---

(١) أحسن التقاسيم ـ المقدسي ١٣٨

(٢) ابو الفتح بن جني ـ مقالة للدكتور محمد اسعد طلس ـ مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٠ ج ٣ / ٤٤٠ـ ٤٤٥

عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوى بأمر الخليفة المكتفي بالله علي العباسي واقام بهـا الى سنة ٣١٦ . . . وولي ولده الموصـل ناصر الدولة حسن بن ابي الهيجاء(١) (٣١٧ - ٣٥٨ هـ) .

ويذكر بروكلمان عهده قائلا « الحق ان عهـده كان اسوأ مثل للاستبداد الشرقي . ذلك بأن الضرائب الباهضة التي انتقضت ظهور افراد رعيته عجزت عن اشباع مطامعه فوجه همته نحو ضم الكثرة العظمى من اراضي البـلاد الى ممتلكاته الخاصة »(٢)

اما الحالة العلمية فيها فقد ازدهرت كما ازدهرت في سائر الامارات الإسلامية ونبغ فيها جمهرة من كبار العلماء والشعراء والادباء والمصنفين وخاصة في زمن بني حمدان الذين كانوا يجودون بالمال الوفير للشعراء والادباء والعلماء واشهرهم في ذلك سيف الدولة ابو الحسن علي (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ) الذي كان قصره ملتقى الادباء ومنتدى العلماء والشعراء كالمتنبي شاعر عصره الفريد والفارابي الفيلسوف والموسيقي البارع والاصفهـاني الذي قدم له كتابه الشـهير فأعطاه جائزة عليه الف دينار واعتذر اليه .

كما جمعت الموصل في عهد هؤلاء نخبة صالحة من كبار الادباء امثال السري الرفاء (- ٣٦٦ هـ) والاخوين الشاعرين المعروفين بالخالديين(٣) والاديب الشاعر

---

(١) منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ٤٠

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ٣ / ٨٩

(٣) هما ابو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن يزيد واخوه ابو عثمان سعيد بن هاشم من بني عبد القيس . وهما من سكان الخالدية وهي قرية من اعمال الموصل « معجم البلدان - الخالدية ، معجم الادباء ٤/٢٣٧ ، يتيمة الدهر ١/٤٧٤ عن مقالة الدكتور محمد اسعد طلس مجلد ٣١ ج ٢/٢٩٣ .